

يقولون أنه ليس هناك من طاعون أخطر في دولة ما بقدر تعددية الأديان، لأن هذا الأمر يضع موضع الانقسام الجار مع جاره، والآباء مع أولادهم، والأزواج مع زوجاتهم، والأمراء مع رعاياهم. أجب أن هذا الأمر لهو أكبر حجة من أجل التسامح؛ لأنه، إذا كانت التعددية الدينية تسيء إلى دولة ما، ذلك لأنه هناك ديانة لا تريد أن تكون متسامحة مع الديانة الأخرى، بل التخلص منها من خلال الاضطهادات. هينك ميهي بريما مالي لابس (hinc mihi prima mali labes) [عبارة لاتينية تعني] "هكذا بدأت الانزلاق باتجاه الشرور"، هنا أصل كل شر. لو كان لكل شخص التسامح الذي أدافع عنه، فإنه سيكون له ذات الشروط في دولة حتى ولو كانت مقسومة إلى 10 ديانات أو في مدينة حيث يتساكن فنانون من كل شكل. كل ما يمكن أن يحصل، وجود منافسة شريفة فيما بين هذه الأديان حول من بينها يسجل درجة التقوى الأهم، أو في العلم أو في الأخلاق الحميدة. كل منها ستجهد من أجل أن تبرهن أنها أكثر صداقة مع الله، وذلك من خلال إظهارها تمسكها بممارسة الأعمال الجيدة؛ وهي ستجهد أيضًا فيما بينها من أجل إظهار تعلق أكبر بالوطن، إذا كان السيد يقوم بحمايتها كلها، ويتعامل معها على قدم العدل والمساواة. وعليه، يبدو من الجلي أن منافسة جميلة كهذه ستكون سببًا لعدد لا متناهي من الحسنات؛ وبنتيجة ذلك، فإن التسامح هي الأمر الأكثر نقاوة لتجلب إلى العال كالعصر الذهبي، وأن تكون في أساس تناغم وتعاون أصوات والآلات متعددة النغمات، هي ستكون بغاية الروعة مقارنة بالصوت الواحد. ما الذي يمنع إذن هذا الحفل الجميل المؤلف من عديد من الآلات والأصوات والنغمات المختلفة الواحدة عن الأخرى من أن تحصل؟ الذي يمنع ذلك هو أن واحدة من هذه الديانات تريد أن تمارس طغيانًا قاتلاً على النفوس، وتجبر الآخرين أن يضحو بضميرهم؛ ما يمنع هذا الأمر أيضًا أن يقوم الملوك بإثارة هذا التمييز الظالم بين الديانات، ويتركون لعدد من الرهبان والإكليريكيين ذراعهم الزمني من أجل ممارسة هذا الطغيان. بكلم واحدة أقول أن عدم الانتظام والفوضى يأتيان ليس من التسامح بل من اللاتسامح.

بيار بايل، شروحات فلسفية حول عبارات يسوع المسيح
أجبرهم على الدخول"، القسم الثاني، المقطع 6، (مأخوذ من "التسامح")، مقدمة وتعليق جان-ميشال غروس، باريس، منشورات بوكيت، 1992، ص. 256-257، أنظر أيضًا الرابط التالي:

http://books.google.fr/books?id=KHs11qe_JBQC&printsec=frontcover&dq=intitle:commentaire+intitl e:philosophique+inauthor:Bayle&hl=fr&ei=FBxITbXdFsuZOoCxmOMF&sa=X&oi=book_result &ct =result&resnum=3&ved=0CDkQ6AEwAg#v=onepage&q&f=false